DIYĀ' AL-AFKĀR
JURNAL STUDI AL-QUR'AN DAN AL-HADIS
VOLUME 8, NOMOR 02, DESEMBER 2020: 172-194
ISSN 2303-0453 | E-ISSN 2442-987
http://www.syekhnurjati.ac.id/jurnal/index.php/diya/index

نحو تفسير بلاغي جديد للنص القرآني:
بعض ألفاظ سورة النساء أنموذجا

Elsayed Mohamed Salem Elawadi
Sultan Zainal Abidin University, Malaysia
Email: tasbih118@yahoo.com

Abstract

There is much talk about renewal, abandoning the old tools of interpretation, and looking for others to provide an interpretation that is compatible with the Majesty of the text and keeping up with the times, although the old books of interpretation have fulfilled the times when they were made, they do not meet the need of this time; The first is to say a lot, a broader statement, a proof that is in a way that attracts the heart, a liar, a sore, a listen, a less persuasion, fits in with the minds and thoughts of this time, and an easier way to present the reception. This research came from a series of efforts made throughout history to explain and interpret the Qur'an's miracles to prove the uniqueness of some of the Holy Qur'an's words, to illustrate its esthetics and to show its language, the awe of its scope and its consistency with the various contexts in which it was mentioned. The research will use the complementary approach, which combines the historical approach that follows the phenomenon in its origin, and the first to launch and use it through times to its stability The language analysis approach, which is useful in parsing words to understand meaning, then the descriptive approach that monitors the characteristics and features of the phenomenon, then the uniqueness, its rhetorical effects, and its esthetic value. His graph, which is a work of art, is involved under the technical curriculum. The study thus came in the introduction to and the beginning of the innovation in the science of interpretation, the first in the meaning of renewal and interpretation, the second in the renewal of interpretation, the third in the model of interpretation of a new communication, and the final, with the sources and references of research. This is not to say that the new chapter of Qur'anic studies, in fulfillment of the Qur'an, and enrichment of its language, has been added.

Keywords: *Sūrah al-Nisā', I'jāz al-Qur'ān, Tafsīr Balāghī.*

الملخص

كثر الكلام حول التجديد، والتخلي عن أدوات التفسير القديمة، والبحث عن غيرها لتقديم تفسير يتوافق مع جلالة النص ومواكبة العصر، وإن كانت كتب التفسير القديمة قد وفّت بحاجة الأزمنة التي صنعت فيها تلك الكتب، فهو لا تفي بحاجة هذا الزمان؛ إذ هي داعية إلى قول أجمع، وبيان أوسع، وبرهان أنصع في أسلوب أجذب للقلب، وأخلب للُّب، وأصغى للأسماع، وأدنى للإقناع، يتناسب مع عقول وأفهام هذا الزمان، وأدعى للإقبال بطريق أسهل، وعرض أيسر. ومن هنا جاء هذا البحث حلقة من حلقات الجهود المبذولة عبر التاريخ لبيان وتفسير إعجاز القرآن الكريم لِتُثْبِتَ سر تفرد بعض ألفاظ القرآن الكريم، وبيان جمالياتها وإظهار بلاغتها، وروعة سبكها، واتساقها مع ما وردت فيه سياقات متعددة من جميع زواياه. وسيستعين البحث بالمنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مروراً بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن ، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية. وسره البياني الذي يعتبر عملاً فنياً خالصاً ينطوي تحت المنهج الفني. وعليه جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد حول التجديد في علم التفسير، والمبحث الأول في معنى التجديد والتفسير، والثاني في تجديد التفسير، والثالث نموذج لتفسير بلاغي جديد، ثم خاتمة مشفوعة بمصادر البحث ومراجعه. ولعلي بهذا أضيف التفاتة جديدة للدراسات القرآنية، وفاءً للقرآن ، وإثراءً للغته .

الكلمة الأساسية: سورة النساء ، إعجاز القرآن، تفسير بلاغي

خلفية البحث

يعد التجديد بشكل عام مطلبا ملحا من متطلبات الحياة، وبابا من أبواب استمرارها؛ وذلك أن التجديد يعني أن الحياة قائمة ومستمرة. ومثلما هو التجديد في الحياة يكون

التجديد في العلوم.[1] وهذا البحث يعالج قضية التجديد في علم تفسير القرآن، فضلاً عن تقديم نموذج لتفسير بلاغي جديد. وبيّن من خلال البحث أن التجديد في هذا العلم كان مطلبا مُلحًّا عبر العصور الإسلامية. وبيّن الباحث ضرورة التجديد في مادة التفسير وطريقته.

ومما لاشك فيه أن الأمة الإسلامية قد اختارها الله —سبحانه وتعالى– لتكون خاتمة الأمم وقد جعلها مميزة بمنهاجها وأسلوبها وفكرها وعملها وكل شيء فيها لما وضعه في شرعها من المرونة الدافعة إلى الإيجابية والتجديد والنهوض المستمر لإصلاح شئون الدنيا والآخرة.

ولقد كانت سنة الله —تعالى– في مسار الأمم والحضارات هي سنةَ الدورات التي تتداول فيها الأمم والحضارات فترات وحقب التقدم والتراجع، والصعود والهبوط، والنهوض والركود، والحياة والموت، وهي السنة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) (آل عمران:140)، وقال تعالى (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (محمد: 38)، وقال سبحانه: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (البقرة : 251)....، وقد بين رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذه السنة التدافعية بمثال العدل والجور فقال –عليه السلام–: (لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لم يعرف غيره، ثم يأتي الله –تبارك وتعالى– بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره).[2]

وإذا كانت سنة الدورات هي التي تحكم مسارات الأمم والحضارات فإن هذه السُّنة تقتضي الصحوة و اليقظة والتجديد، خروجا من مراحل ودورات الغفلة، والتراجع والجمود. فاليقظة والتجديد سنة من سنن الله —سبحانه وتعالى– في الاجتماع الإنساني، وفي مسارات الحضارة الإنسانية، وهذه حقيقة بارزة في تاريخ هذه الأمة بشكل واضح. فقد تحدث عنها النبي –صلى الله عليه وسلم– حديثاً بارزاً بقوله: (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)،[3] وإذا كانت الحضارة الإنسانية هي مواضعات بشرية، وإبداعات مدنية

(1) للمزيد ينظر: أبو حسان،جمال ، التجديد في علم التفسير، الأردن.(د.ت).(بتصرف)

(2) الشيباني، أحمد بن حنبل (ت ك 2هـ–855م) المسند 26/5 عن معقل بن يسار، دار الفكر، بيروت.

(3) النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك 567/4، ت/عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 1990م.

لا توصف بالخلود، ولا بالإطلاق، ومن ثم يجوز عليها الموت وإخلاء الطريق لحضارات أخرى وارثة لأممها وشعوبها وتاريخها، بمعنى أن سنة التجديد قد تأتي في صورة تداول الحضارات، لابعثها وتجددها. فإن الحضارة الإسلامية واللغة العربية مع أنهما مواضعات بشرية وإبداعات إنسانية، هما استثناء من مصير موت وفناء الحضارات واللغات، وذلك لارتباطهما بالمطلق الديني، وهو الإسلام الخالد والخاتم، والقرآن المهيمن الذي تعهد الله بحفظه بلسان عربي مبين، لأجل هذا كان التجديد سنة مطردة وقانوناً لازماً في مسار الحضارة الإسلامية يقودها إلى النهوض بعد كل ركود، وهذا هو الذي جعل حضارتنا الإسلامية العربية أطول الحضارات المعاصرة عمراً وأرسخها قدماً على درب النهوض من العثرات، وأكثرها استعصاءً على فقدان الهوية والخصوصية، لارتباط ذلك بالمطلق الديني والخالد الإلهي، "فهي إبداع مدني بشري حفز إليه وصبغة وحدد معاييره الوضع الإلهي المتمثل في وحي الله تعالى. وتلك خصوصية لحضارتنا الإسلامية تفردت بها دون كل الحضارات".[4] هذا في مسار الحضارة الإسلامية بعامة. ولا شك أن العلوم الإنسانية والعلمية الإسلامية جزء من مسار هذه الحضارة سواء منها ما تعلق بالدين مباشرة أم ما كان متعلقاً بتأييد الدين وليس به مباشرة.

وعلم التفسير واحد من هذه العلوم بل هو أهمها لأنه يتعلق مباشرة بمصدر هذا الدين شرحاً وتوضيحاً، بياناً وإبرازاً. فهل يدخله التجديد كما يدخل غيره؟ للإجابة عن هذا التساؤل لا بد أن نحدد بإيجاز ما معنى التفسير وما معنى التجديد؟

منهج البحث

سيستعين البحث بالمنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مروراً بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها،ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية. وسره البياني الذي يعتبر عملاً فنياً خالصاً ينطوي تحت المنهج الفني.

(4) مجموعة مؤلفين، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة الإصدار الأول ص (331- 332) إشراف أ.د . محمود زقزوق وزير الأوقاف المصري- القاهرة 2000م .

في معنى التفسير والتجديد

تدور مادة التفسير حول معنى الكشف مطلقاً سواءً أكان هذا الكشف لغموض لفظ أم لغير ذلك. وفي الاصطلاح: "كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل، وبحسب المعنى الظاهر وغيره". وهو بهذا المعنى يشتمل جميع ضروب البيان لمفردات القرآن وتراكيبه سواء أتعلق البيان بشرح لغة أم استنباط حكم أم بتحقيق مناسبة، أم بيان سبب نزول، أم بدفع إشكال ورد على النص، أم بينه وبين نص آخر، أم بغير ذلك من كل ما يحتاج إلى بيان النص الكريم".[5]

التجديد: "من الجِدّة، والكلمة تدور على إبراز ما لم يكن بارزاً أو إنشاء ما لم يكن منشأً أو من الإيجابية في العمل والاستمرار فيه".[6] وليس يعني هذا المصطلح الإتيان بالجديد ضرورة وهذا مالحظه في كل زمان المؤلفون والمبدعون والفاعلون في الأمة في كل أوقاتها. وقد نقل حاجي خليفة عمن سبقه أن التأليف في العلم على سبعة أنحاء؛ إذ لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي:

"1- شيء لم يسبق إليه فيخترعه. مثل الرسالة للشافعي.2- شيء ناقص يتممه.كالمجموع للنووي حيث تعاقب على تتمته السبكي والمطيعي. 3- شيء مغلق يشرحه. مثل شروح المتون الفقهية واللغوية.4- شيء مطول يختصره دون أن يخل بمعانيه. مثل مختصر تاريخ دمشق لابن منظور.5- شيء متفرق يجمعه. مثل القواعد الفقهية لابن رجب؛ حيث جمعها من كتب الفقهاء. 6- شيء مختلط يرتبه. مثل ترتيب المحدثين لبعض الأحاديث على حروف المعجم. 7- شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه . مثل كتب التعقيبات والردود".[7]

(5) انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية ص (154 - 155) وانظر:الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1367هـ-1948م) مناهل العرفان (472/1) طبع عيسى البابي الحلبي ، وانظر: الطيار، د. مساعد،(معاصر) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ص (233) .

(6) انظر :ابن منظور، محمد جمال الدين،(ت: 711هـ-1311م) لسان العرب لابن منظور ، الجِدّة ، طبع دار صادر . مصطفى بن عبد الله،(ت: 1067هـ-1657م)

(7) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 35/1 دار الفكر 1983م، والأمثلة التي ذكرتها على هذه الأنواع من التصنيف من عندي وليست في كشف الظنون .

وهذه الأنواع السبعة من التأليف كلها فيها إضافة نوعية أو شكلية أو مادية لما سبق، ونلاحظ بوضوح أن الإتيان بجديد ليس إلا نوعاً من التجديد وليس هو. وإذا كان الأمر على ذلك فلا ينبغي حصر التجديد في الإتيان بجديد والذي ربما قاد إلى الإنحاء باللائحة على المتقدمين الذين لم تبلغ عقولهم أن يصلوا إلى ما وصل إليه المجدد في موضوع التجديد وفي هذا ما فيه من غمط السابقين حقوقهم وفضائلهم.

تجديد التفسير

ليس يقصد بهذا العنوان أن نأتي بتفسير لم يسبق إليه سابق مما يترتب عليه إلغاء التفسير السابق فإن هذا لا يعد من العلم في فتيل ولا قطمير، وإنما هو من هدم ما بناه الأقدمون دون مناسبة داعية لذلك، ولكن الذي أعنيه بهذا العنوان هو مواكبة التفسير لحاجات العصر وإصلاحها بحيث لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق لإصلاح واقع الناس وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية. وهذا بيان مقتضب يستدعي النظر في بعض الأمور أهمها:

1- التفسير القديم طريقته ومنهجه ومصادره.

2- هل يقف التفسير عند عصر من العصور.

3- دواعي التجديد في التفسير.

ففيما يتعلق بالأمر الأول من هذه الأمور المشار إليها ذكر المتقدمون أن التفسير القديم[8] كان قوامه على أمور لم تتخلف عند واحد من الذين تعاطوا علم التفسير وهي تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين هذا هو الإطار العام لما عرف قديما باسم التفسير بالمأثور، وفي داخل هذا الإطار العام يدخل التفسير باللغة وسياق الآيات المفسرة والأحوال المستتبعة لنزول الآيات الكريمة وما أوتيه المفسر مما فتح الله عليه من بركات القرآن الكريم. وقد جاء عن علي-رضي الله عنه- ما يوضح هذا المعنى الخاص بهذا الجانب عندما سُئل هل عنده من خصوصية في علم القرآن. فقد أخرج البخاري عن أبي جحيفة قال: "سألت عليا -رضي الله- عنه هل عندك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- شيء سوى القرآن فقال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في

(8) الذي ينبغي أن يكون مرادا بالقديم هو ما كان في القرون الثلاثة الأولى ، ولكن توسعت دائرة القديم حتى شملت معظم التفاسير التي سبقت ما يسمى بقرن النهضة اعني القرن التاسع عشر .

القرآن، وما في هذه الصحيفة،فالم قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: فكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر".[9]

فهوم بادي الرأي من هذا الحديث أن أفهام الناس تتفاوت في فهم القرآن وطريقة المتقدمين في التفسير هي أن يعمد المفسر إلى آية أو مجموعة من الآيات ذات الارتباط الموضعي أو النحوي فيعمد إلى القصد إلى جزئياتها من الحديث عن بيان معاني المفردات والكلمات وأصولها الاشتقاقية وصيغها الصرفية ثم الكلام على الأعاريب والقراءات ثم الحديث عن الأساليب البلاغية في الآية وربما انجر الكلام إلى التوسع في بعض ما له علاقة بالآية من قريب أو بعيد. هذه هي طريقة التفسير في القديم، ويمكننا أن نلحظ هذا بوضوح فيما بين أيدينا من التفاسير فقد وقفت على أقدم تفسير مطبوع –فيما أعلم– وهو تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى سنة 150 للهجرة، وبأدنى تأمل ترى هذا الأمر واضحا فيه كل الوضوح، ثم تتابع الأمر على ذلك، حتى وصل إلى عصرنا الحاضر فمثلا في التفاسير المعاصرة مع وجود التمايز بين هذه التفاسير قديما وحديثا باختلاف شخصيات المفسرين، فكل تفسير ينطبع فيه آثار شخصية مؤلفة، وتختلف المعرفة من شخص لآخر عبر القرون وهذا من الاختلافات التي هي من شأن البشر وضرورة تمايزهم. نجد هذه الطريقة عند المنار وعند القاسمي وعند إسماعيل حقي.

و أما ما يتعلق بالأمر الثاني من الأمور المشار إليها سابقا والمخصص للإجابة عن سؤال فحواه: هل يقف التفسير عند قرن معين؟ أو بتعبير آخر هل يمكن إحداث قول جديد في التفسير؟ قبل الإجابة عن هذا التساؤل لا بد من بيان أن التفسير برمته ينقسم قسمين: تفسير نقلي و تفسير عقلي، والتفسير النقلي لم يختلف الناس فيه، بمعنى إذا صح حديث أو نص في تفسير آية فإن هذه الصحة تستلزم رفع الخلاف الذي يمكن تصوره حول إثبات التفسير، و إنما اختلفوا في حيثيات لها علاقة بالتفسير النقلي، وذلك يمكن تبيينه إذا ما قدرنا أن المتصدي لهذا التفسير النقلي إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه

(9) البخاري، محمد بن إسماعيل،(ت: 256هـ–870م) صحيح البخاري،في عدة مواضع انظر مثلا 2662/6 طبع دار ابن كثير بيروت سنة 1987 ت/د. مصطفى البغا وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري 65/9 طبع دار المعرفة بيروت سنة 1379 ت/محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

متعلقة به، فيقصد إلى ما تبادر إلى ذهنه من معناها، وتدفعه الفكرة العامة فيها، فيصل بينها وبين ما يروى حولها في اطمئنان. وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسيا وعقليا حيثما يقبل مرويا ويعني به، أو يرفض من ذلك مرويا –إن رفضه– ولم يرتح إليه وضمن هذه الدائرة التي هي مما حول المنقول يدور الخلاف، وأما التفسير العقلي فإن الخلاف فيه أوضح وأجلى وأبين؛ إذ يفرغ المفسر في الآية طاقته وجهده في الوصول إلى أكمل معانيها عنده، وهذا هو ميدان الاختلاف والتنافس في إبراز القيم العليا لهذه الآيات الكريمة. وفي الإجابة عن هذا التساؤل المطروح لا بد من النظر أولا فيما يفضي إليه قول من يقول إن المتأخرين لا يمكن أن يأتوا بجديد معتبر في التفسير لم يقل به السابقون؛ حيث إنه بادي الرأي تظهر لهذا القول ثلاثة مفاسد كبرى وهي:

أولا: إن التفسير توقف على ما قال به السلف فقط. **ثانيا**: إنه لا يجوز القول في التفسير بغير ما قال به السلف. **ثالثا**: إن أي تفسير يأتي بعد تفسير السلف فهو باطل مطلقا. وهذه مفاسد بادية للعيان ومعطلة عن الفهم وضاربة عرض الحائط بسنة اختلاف البشر وتنوع اجتهاداتهم وأفكارهم.

وتفسير القرآن الكريم قوامه على عناية المفسرين بمعاني الجمل والتراكيب القرآنية وما ينشأ عن ذلك، وهذا المعنى لا شك في إمكانية تعدده. ذلك أنه لم يكن من شرط التفسير عند أي من المفسرين سواءً أكانوا متقدمين أم متأخرين – إن السابقين قد أتوا على جميع محتملات التفسير، بل هناك احتمالات كثيرة صحيحة ذكرها المتأخرون ولم يذكرها السلف. ومن يطالع التفاسير لا تخفى عليه هذه القضية لكن لا بد من وضع الضوابط لهذا الاحتمال الجديد حتى يكون مقبولا:[10]

أولا: أن يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه. **ثانيا**: أن لا يكون مبطلاً قول السلف. **ثالثا**: أن تحتمله الآية. **رابعا**: أن لا يقتصر في معنى الآية على هذا الاحتمال الجديد. وهذه الضوابط التي ذكرها الأستاذ الفاضل مع ما فيها مما يمكن أن يناقش أو يرد، إلا أنني

(10) انظر هذه الشروط في: الطيار، مقالات في علوم القرآن والتفسير ص231 على أن الشرط الثاني ليس على إطلاقه.

أقول إن ما يذكره أستاذنا الدكتور فضل عباس باستمرار في مجالسه من ضوابط لهذا الأمر أعني قبول التفسير الجديد هي أقوى وأولى وهذه الضوابط هي[11]:-

(1) أن لا يخالف التفسير الجديد ما صح من المأثور.

(2) أن لا يتناقض مع اللغة.

(3) ألا يتعارض مع السياق.

وهو -حفظه الله- يردد هذه الضوابط كثيرا حتى حفظت عنه جزاه الله تعالى خيراً. وبعد هذا وذاك لو كان التفسير لا يجوز فيه الاجتهاد عبر القرون لكان مما بينه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يتركه نهبا للأقاويل. ولا أدل على بطلان القول بمنع قبول التفسير الجديد من مخالفة جميع المفسرين في تفاسيرهم له. والله تعالى أعلم .إذا تبين هذا تبين منه أن التجديد مطلب شرعي وعقلي دعت إليه دواع كثيرة وأنا هنا لست بصدد الحديث عن التجديد بعامة وإنما عن تجديد التفسير فهل لهذا النوع من التجديد دواع ؟ وفي الإجابة عن هذا التساؤل لا بد من بيان أن القرآن الكريم لو نظر الناظر إليه بعين التدبر لرأى بعين البصر والبصيرة أن الدواعي كثيرة منها:[12]

أولاً: إن القرآن الكريم إنما أنزله الله تعالى لهداية البشر في كل زمان وفي كل مكان، ومشكلات الناس تختلف باختلاف عاداتهم وتقاليدهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها، فكل قوم وصلهم دين الإسلام وجب عليهم النظر في هذا القرآن الذي هو منهج حياتهم وسبيل رقيهم، والنظر مختلف باختلاف الحاجات العائدة إلى سبيل الهداية ولا شك أن هذا سبيل من سبل الرقي في التفسير والتنوع في الإفادة من القرآن الكريم بما تقوم به حياة الناس المختلفة ولا شك أن هذا يمثل نوعا من التجديد.

ثانياً:إن القرآن الكريم حض في ثناياه على السير في الأرض والنظر في آثار المهلكين من جهة وكذا النظر في آثار رحمة الله تعالى بعباده من جهة ثانية. ولا شك أن المهلكين متنوعين

(11) انظر:أبو حسان،جمال محمود، الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية ص142 وما بعدها رسالة دكتوراه في التفسير، غير منشورة.

(12) الخولي، مناهج تجديد ص 297.وانظر: أبو حسان،جمال محمود، الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية ص142ومابعدها.

والنعم متنوعة، والاعتبار بهذا وذاك يختلف باختلاف حال المعتبر المتدبر، فكل يعتبر ويتدبر ويتذكر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات والقوى والقدر ولا شك أن في هذا اختلافا بيّنا بين الناس وفي هذا نمط من التجديد بين معتبر وآخر؛ إذ لا يلزم عليه أن تكون العبرة واحدة والاتعاظ بها سبيل واحد كذلك.

ثالثاً: إن القرآن الكريم قد حث على التعقل والتدبر والتفكر في غير ما موضع من الآيات الكريمة وفي سور عديدة[13] فإذا كان المقصود هو الوقوف عند أقوال السابقين وعدم الزيادة عليها فلأي معنى يكون تنوع الحض على التدبر والتفكر والتعقل؟

رابعاً: لقد ذكر د/ جمال أبو حسان في كتابه "الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية" ما يؤيد هذا الجانب في مبحث خاص تحت عنوان "صيغ عملية في فواصل القرآن الكريم" قال فيه: "أريد بالصيغ العملية ما هو مثل مادة التفكر والعمل والعلم ونحوها من الصيغ التي تدل على حركة الإنسان في هذه الحياة وهذا الكون؛ إذ قد تكاثر ورود هذه الصيغ التي أشرت إليها في فواصل القرآن الكريم وفي سياقات مختلفة، فقد وقعت مادة (التذكر) مثلا بصياغاتها المختلفة في فواصل القرآن الكريم نحو من ثلاث وثلاثين مرة، ومادة (عقل) في الفواصل وقعت على صيغة يعقلون بالياء وبالتاء في أربعة و أربعين موضعا، ومادة (عمل) وقعت في الفواصل على صيغة يعملون بالياء والتاء في ثلاثة وتسعين موضعا ومادة (فعل) على ذلك النمط وقعت في ثمانية عشر موضعا، ومادة (فقه) وقعت على صورة (يفقهون) فقط في الفواصل في تسع مرات، ووقعت مادة (فكر) على صورة يتفكرون بالياء والتاء في اثني عشر موضعا، ووقعت مادة (علم) في تصريفات مختلفة في الفواصل القرآنية في مائة وعشرين موضعا من القرآن الكريم. وبهذا يتضح أن القرآن الكريم يريد أمة حية متحركة واعية قادرة على النهوض بأعباء الدعوة إلى دين الإسلام. هذا الدين الذي يأبى على أهله أن يكونوا كسالى نائمين. فيحفزهم دائما إلى أن يكونوا إلى النهوض والعمل سباقين.

وفي تركيز القرآن على هذه الصيغ والمواد التي ذُكِرت آنفا ما يدل على أن القرآن لا يريد من الأمة أن تكون أمة عاملة فقط بل يريدها مع العمل أن تتميز بميزات فريدة، وحسبنا من

(13) انظر:عبد الحميد، د. محسن، تطور تفسير القرآن –قراءة جديدة ص231 وما بعدها، طبع وزارة التعليم العالي– جامعة بغداد 1408هـ.

تركيز القرآن الكريم في فواصله على مادة (العلم) ومشتقاتها المختلفة، حسبنا منه ما يدل على أن الأمة العاملة العالمة شيء متميز في هذه الحياة، ولذلك لا بد من التركيز على العلم وبعث روحه في أرجاء الأمة الإسلامية لا سيما في هذا الوقت الذي يرى فيه كثيرون أن يحرموا أنفسهم و أبنائهم من العلم؛ ليركضوا وراء متع الدنيا ولذائذها، يحسبون أن المتع واللذائذ هي غاية التكليف، وهي مرماه وهدفه فإذا ما أصيب واحد في هذا الجانب بدأ عليه الهلع والجزع. وأحسب أن على حكومات المسلمين والقائمين على أمور الناس أن عليهم أن يأخذوا على أيدي هؤلاء ويمنعوهم من العبث ببنيان الأمة، فليس للفرد حرية التصرف في نفسه بما يؤدي إلى زلزلة كيان أمته ويقوض بنيانها، ولا شك أن الضريبة الأولى المترتبة على التجافي عن العلم، هي فشو الجهل، وهل نزل القرآن الكريم في ضمن ما نزل إليه إلا لمحاربة الجهل والجاهلين؟ وبعد فإذا لم يقُدْ العلم إلى الاجتهاد والتجديد فأي فرق بينه وبين الجهل؟!

خامساً: إن ما في القرآن من الحوافز الدافعة إلى إعادة قراءته مرة تلو المرة لأكبر الأدلة على الدعوة إلى التجديد في الفهم؛ لأن القرآن دافع إلى الرقي فإذا كانت القراءة المتوالية لا تنتج منها رُقيّا عن الفهم السابق فكأنها لم تكن! وهذا -ولا ريب- من حوافز التجديد والدعوة إليه في كتاب الله تعالى.

وبعد فإن القرآن الكريم كمال إلهي مطلق وبحر لا ساحل له، نزل إلى الناس ليتعرضوا له بالقراءة والفهم والمدارسة والتدبر جيلا بعد جيل، فلا ريب إذن أن تعرض القرآن الكريم إلى قراءات متلاحقة عبر العصور، وهذا أمر بديهي جدا. الذي يجد نفسه فيه فعلى ذلك يمكننا أن نقول إن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد بكل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه أهل ذلك العصر والزمان. ولا يمكن أن نوقف تفسير كلام الله تعالى عند عصر معين؛ لأننا إن زعمنا ذلك، طعنا في خلود القرآن وخاتميته وعالميته وهيمنته والله اعلم.

سادسا: إن الاختلافات بين المفسرين ناشئة عن القراءة من جهة أو الاختلاف في معنى الكلمة وهي قليلة التي مردها إلى ذلك، وجل الاختلافات بين المفسرين هي اختلافات في الرأي ولا شك أن هذا ناشيء عن الاجتهاد في التفسير، والاجتهاد مدعاة للتجديد ولا شك. ولو أننا نظرنا إلى كتاب الطبري في التفسير وقرأنا فيه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى

(وشاهد ومشهود) من سورة البروج لوجدنا أنه يذكر آراء كثيرة مختلفة ومتباينة، وليس مردها لا الاختلاف في القراءة ولا في المعنى اللغوي، ولكنها اختلافات في الفهم والاجتهاد، ولا شك أن هذا ليس له حد فهو —الطبري— بعد أن ذكر تلك الأقوال المتعددة والمختلفة قال: "والصواب من ذلك عندنا أن يقال إن الله تعالى أقسم بشاهد ومشهود ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنيّ مما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود"، [14]وهو –رحمه الله– يعني أن كل الأقوال التي ذكرها محتملة في الآية. وهذا القول منه لا يمنع من إحداث قول جديد يكون محتملاً للآية أيضاً، إذ لم يذكر هو ولا غيره أن هذه الأقوال هي حصرياً التي تحتملها الآية!!

سر نموذج لتفسير بلاغي جديد

وهذا النموذج التفسيري والذي يظهر ما في الكلمات من أسرار لغوية وإعجاز بياني ونكات بلاغية ليس بدعا من التفاسير، ولكنه تم من خلال نظرة جديدة للكلمة القرآنية من خلال مناحٍ عدة وليس فقط اللغوية ولا البلاغية ولا السياقية ولا الدلالية ولا الأدبية ولا المعرفية ولا التراثية، بل ربما من خلال هذا كله إضافة إلى طريقة تحليل جديدة للنص القرآني؛ طريقة تتأسس على المناهج التفسيرية، وتعتمد على بنية الكلمة الصرفية، وهيئتها التركيبية، وصيغتها المعجمية، وأصولها الاشتقاقية، وأجواءها السياقية، ووقع أصوات حروفها، ومناسبتها النفسية؛ انطلاقاً من هذه الأسس للوقوف على سرها البياني وإعجازها البلاغي؛ لتكون نقطة ارتكاز لاحقاً لتفسير بلاغي يشمل جميع ألفاظ القرآن الكريم. ولقد كثرت التفاسير البيانية والبلاغية والأدبية للقرآن الكريم ومنها على سبيل الذكر:

1- الكشاف "للزمخشري"، وفيه تم التطبيق للقواعد والأصول البلاغية التي نادى بها شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني وبخاصة قضية النظم، والزمخشري لا ينكر فضله في النحو والبلاغة ولا نستطيع أن نغفل قدره وسط البلاغيين والنحاة بل إن كثيرا من المحدثين صاروا يعدونه رائد نحو النص وهو تفريع جديد لعلم النحو يدّعي الغرب أنهم مؤسسوه ورواده وهو التعامل مع النص كاملا لا مجزءاً وكذلك فعْل أئمتنا المفسرين في

(14) الطبري ، محمد بن جرير،(ت:310هـ–1923م) تفسير الطبري، 84/30 طبعة دار الريان للتراث – القاهرة 1987م .

تعاملهم مع النص القرآني فنجدهم يربطون آية في أول المصحف بآية في آخرة ربطا بلاغيا فصيحا والزمخشري رائد هذا الفن وأستاذه ولا ينقص من قدره أنه كان يطبق ما أشار إليه الجرجاني فلكل فضله ودرجته.

2- "البحر المحيط" لأبي حيان المفسر الأندلسي المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وخمسين للهجرة فإن البحر هذا هو حقيقة اسم طابق مسماه، ولفظ أدرك معناه–فعلاً–، فمن قلب صفحات "البحر المحيط" لأبي حيان وجد بحرًا فعلاً متلاطمًا، فإنه يذكر أسباب النزول، ويشرح الآية شرحًا لغويًا، ثم يذكر أيضًا أعاريبها التي تنبني عليها المعاني.

3- تفسير البيضاوي وحواشيه، وهي الحقيقة حواشي مفيدة جدًا لطالب البلاغة والمعاني والدقائق واللطائف، و أشهرها حاشية الشهاب الخفاجي، وحاشية محيي الدين الشيخ زاده وحاشية القنوي.

4- تفسير أبي السعود، كان قاضيًا من قضاة الدولة العثمانية في القرن التاسع الهجري، وقد كتب كتابه الرائد "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" وتمكن حقيقة من العربية وتضلع فيها، وعبارته جزلة وأسلوبه عالٍ .

5- كتاب "روح المعاني "للآلوسي فإنه جمَّاعة، وأيضًا يحسن النظر والتقليب وتوليد المعاني من خلال ما ينظر.

6- تفسير "التحرير والتنوير" للشيخ الطاهر بن عاشور التونسي، وهذا الرجل مالكي المذهب إلا أنه مجتهد في مذهبه وله كتاب "الموجز في البلاغة العربية" وهو يعد زمخشري عصره، وقد تعرض بشكل أكبر للقضايا البلاغية في القرآن من الزمخشري مع تفصيل أكبر وشرح أسهل.

7- "التفسير القرآني بالقرآن" لعبد الكريم الخطيب، فلغته مشرقة وعبارته مؤدبة وأدبية، وأيضًا أساليبه راقية، وتكسب قارئها ضربًا من حصن التعبير

8- كتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب من الكتب التي تناولت الآية أو القرآن الحكيم بمنظار أدبي في عبارة رقيقة وأسلوب رشيق يجول بك ويصول في حدائق القرآن الغنَّاء وبساتينه فترشف منها عبق الهداية وأريج الاستقامة.

9- كتاب "تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي توفي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي سنة ألف وثلاثمائة وستة وسبعين هجرية فكتابه هذا تفسير كتاب مختصر وجيد وله لفتات لغوية وإشراقات بيانية وتوضيحات أسلوبية في لغة سهلة.

10- التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء): وهو تفسير رائع قدم منهجاً رائعاً في التحليل والتطبيق، ولقد تناول القرآن في سوره القصار تناولاً موضوعيا؛ حيث يعمد إلى الموضوع الواحد في القرآن ومن ثم يجمع الآيات التي وردت فيه، ثم يتناولها بالشرح والتحليل ومعرفة الرابط بين بعضها البعض؛ فيتجلى لك الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات.

وعلى أية حال فهذا النموذج المطروح بين يدي القاريء محاولة مبدئية لكلمات قرآنية لعله يوما ما يشمل كل ألفاظ القرآن الكريم. وقد اقتصر الباحث فيه على ألفاظ في سورة "النساء" كنماذج فقط ليلقي الضوء عليها، وعسى أن تكون نبراسا لتفسير لبقية ما ورد فيها من أسماء تحمل خصوصية، وإليك هذه الكلمات تحليلا وتفسيرا وشرحا.

1- حُوباً: ورد في قوله تعالى: وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا.[15]

والآية في إيتاء اليتامى أموالهم وتحريم أكله والأمر بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم. والخطاب للأوصياء ما دام المال بأيديهم واليتامى عندهم.

ويقول ابن فارس: "الحاء والواو والباء أصل واحد يتشعب إلى إثم أو حاجة أو مسكنة وكلها متقاربة، فالحُوب والحَوب:الإثم".[16] "والحوب في أصل الوضع اللغوي كلمة تُستعمل لزجر الإبل، تقول حوباً يعني تريد أن تزجر الإبل عن المرعى، فاستُعمِلت في الاستعمال الشرعي للدلالة على كل ما ينفّر من الذنب، ثم توسع فيها فاستعملت للدلالة على الذنب،

(15) النساء، آية رقم:(٢).

(16) ابن فارس. مقاييس اللغة، ج2.ص113.

يقال:تحوّب فلان إذا خشي أن يقع في الحوب الذي هو الإثم، والحوب بهذا المعنى المتوسع هو الإثم، فقوله تعالى(إنه كان حوباً كبيراً) يريد –والله أعلم– أن أكل أموال اليتامى بغير حق يعد إثماً كبيراً ".[17] ونلحظ أن الأمر هنا ليس في حق الله، فالذي في حق الله نجده يستعمل كلمة إثم أو ذنب، وفي حق العباد والضعفاء منهم خاصة يستعمل كلمة (حوبا)؛ بل ومن كلام المفسرين قالوا: الحوب: "الظلم العظيم"،[18] والتشديد في وصف مدى جرم الفعل يدلك على أنه عند الله عظيم؛ لأن الأمر متعلق بحقوق البشر، وليس أي صنف من البشر بل قمة الهرم في الضعف وهو اليتيم، الذي لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وكل أمره إلى الوصي الذي لا رقيب عليه إلا ضميره ودينه، واليتيم لا يملك بل لا يعرف إذا ظلم أو أخذ حقه أن يرد أو يصدّ؛ لأنه يجهل، وبالتالي كان أولى بالوصي لكل ما تقدم أن يكون حريصاً على أداء الأمانة، أما وقد خان وظلم وهضم حق هؤلاء الضعفاء؛ لذا ناسب أن يكون الإثم فظيعا، والذنب جسيماً؛ لأن المفترض فيه أن يكون راعياً وحارساً. والمراد هو تنفير الأوصياء من إساءة الإتمان على أموال الأيتام الذين هم في كفالتهم وتحت وصايتهم. وعليه تفردت الكلمة هنا في هذا السياق، ولم تغن غيرها مكانها.

2- **الْجِبْتِ**: ورد في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا.[19]

والآية في التأكيد على أن اليهود قوم مغرورون مخدوعون يظنون أن فضل الله مقصور عليهم، ورحمته لا تتعداهم، ولا يستحقها غيرهم.

يقول ابن فارس: "الجيم والباء والتاء كلمة واحدة:الجبت والساحر ويقال:الكاهن"،[20] "والجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وقيل:هو كل ماعبد من دون الله فيشمل الصنم والكاهن والساحر والشياطين وغير ذلك"،[21] ولقد عبر هنا بالجبت؛ نظراً

(17) مشوّح، محمود. تفسير سورة النساء(1978)،.comرابطة أدباء الشامwww.لندن.

(18) الزمخشري،الكشاف.ج1.ص244، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.ج2.ص1676.

(19) النساء، آية رقم:(٥١).

(20) ابن فارس، مقاييس اللغة.ج1.ص500.

(21) انظر:أبو عبيدة. مجاز القرآن.ج1.ص129، الصحاح.ج1.ص245، اللسان.ج2.ص164.

لذكرها في القصة التي حدثت بين المشركين واليهود، والتي لم تكرر في القرآن وهي أنه:"بعد موقعة أُحد جاء حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وأبو رافع. هؤلاء هم صناديد اليهود، وأخذوا أيضاً سبعين من اليهود معهم ونزلوا على أهل مكة، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله. وبعد ذلك نزل كعب بن الأشرف-زعيمهم-على أبي سفيان وقال له:نريد أن نتعاهد على أننا نقف أمام محمد. فقال أبو سفيان:أنت صاحب كتاب، وعندك توراة، وعندك إيمان بالسماء، وعندك رسول، ونحن ليس عندنا هذا، و«محمد»يقول:إنه صاحب كتاب ورسول، إذن فبينكما علاقة الاتصال بالسماء، فما الذي يدرينا أنك متفق معه علينا في هذه الحكاية؟ إننا لا نؤمن مكرك، ولن نصدق كلامك هذا إلا إذا جئت لآلهتنا وأقمت مراسم العبادة عندها فسجدت لها. و«الجبت والطاغوت»هما صنمان لقريش، وذهب إليهما اليهود أصحاب التوراة الذين عندهم نصيب من الكتاب وخضعوا لهما".[22] وعليه تبين لنا سبب ذكر وتفرد الجبت في هذا السياق دون غيره.

3- ثُبَاتٍ: ورد في قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا.[23]

والآية في الحديث عن قواعد القتال في الإسلام. يقول ابن فارس:الثاء والباء والياء أصل واحد:وهو الدوام على الشيء، ويتفرع منه الثبة يقول:وأما الثبة فجماعة من الفرسان يكونون ثبة والجمع ثبات وثبون. وقيل:هي ما فوق العشرة من الرجال"،[24] ولقد رتبَّ القرآن ترتيباً طبيعياً ومنطقياً في كيفية النفير والتحرك والانطلاق للحرب' فبدأ بالثبات أولاً ثم جميعاً ثانياً حسبما تقتضيه ظروف الحرب، وهذا ما يؤكده صاحب المنار قائلاً:" وَالثُّبَاتُ:جَمْعُ ثُبَةٍ بِضَمِّ فَفَتْحٍ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الْمُنْفَرِدَةُ، وَالْمَعْنَى فَانْفِرُوا جَمَاعَةً فِي إِثْرِ جَمَاعَةٍ بِأَنْ تَكُونُوا فَصَائِلَ وَفِرَقًا، وَهُوَ الَّذِي يَتَعَيَّنُ إِذَا كَانَ الْجَيْشُ كَثِيرًا أَوْ كَانَ مَوْقِعُ الْعَدُوِّ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَهُوَ الْغَالِبُ، أَوِ انْفِرُوا كُلُّكُمْ مُجْتَمِعِينَ، إِذَا قَضَتِ الْحَالُ بِذَلِكَ، أَوِ الْمَعْنَى فَانْفِرُوا سَرَايَا وَطَوَائِفَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، أَوْ نَفِيرًا عَامًّا، وَيَجِبُ هَذَا إِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ أَرْضَنَا كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ".[25] ويعلل لذكر هذا

(22) الشعراوي.ج1.ص1582، وانظر:مفاتيح الغيب.ج10.ص101، والتحرير والتنوير.ج4.ص155.

(23) النساء، آية رقم:(٧١).

(24) ابن فارس. مقاييس اللغة.ج1.ص401، 402، وانظر:الزجاج. معاني القرآن وإعرابه.ج2.ص75.

(25) رضا، محمد رشيد. تفسير المنار(1990م)مصر:الهيئة العامة المصرية للكتاب.ج5.ص203.

التفصيل عند أخذ الحذر بين "ثبات" و"جميعا" قائلاً:" وَإِنَّ أَخْذَ الْحَذَرِ لَيَشْمَلُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةَ سَوْقِ الْجَيْشِ وَقِيَادَتِهِ وَهُوَ النَّفْرُ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِمَّا قَدْ يُتَسَاهَلُ فِيهِ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ فَأَمَرَ بِهِ بِهَذَا التَّفْصِيلِ، وَلَوْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ لَكَانَ الِاجْتِهَادُ فِي أَخْذِ الْحَذَرِ مِمَّا قَدْ يَقِفُ دُونَهُ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّفْرَ عَلَى حَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَى مُقَاوَمَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ أَنْ يُرْسَلَ الْجَيْشُ جَمَاعَاتٍ وَفِرَقًا كَمَا عَلَيْهِ الْعَمَلُ حَتَّى الْآنَ، فَإِذَا احْتِيجَ فِي الْمُقَاوَمَةِ إِلَى نَفْرِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ وَخُرُوجِهِمْ لِلْجِهَادِ وَجَبَ وَهُوَ قَوْلُهُ:أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا".[26] ولعل السياق اختار" ثُبَاتٍ"؛ لأنه أدعى لإظهار القوة والكثرة لإرهاب العدو، والمدقق في اللفظة لعلها تحمل معنى الثَّبات، فالنفير والجهاد يحتاجان إلى ثبات، فاختلف الشكل واتحدت الحروف، والموقف كذلك يتطلب ثباتاً وإقداماً وشجاعة.

4- مُرَاغَماً: وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا.[27]

والآية في الهجرة والترغيب فيها وما يترتب عليها من وجود السعة والفسحة.

والمراغم:"المذهب والمهرب، وقيل المراغم:المضطرب والمذهب في الأرض والسعة"،[28] والسياق يتحدث عن هجرة مجهولة المستقبل، وغير مأمونة الجوانب؛ لذا ناسب تماماً أن يسوق ما يُطَمْئِنُ من يهاجر، وبالتالي عبّر عن المكاسب بلفظ " المراغم" ووصفها بالسعة تأكيداً على حصولها، و"كلمة «مراغم»هي اسم مفعول، وتعني مكاناً إذا ما وصلت إليه ترغم أنف خصمك الذي كان يستضعفك، فهل هناك أفضل من هذا؟. أي أنه –سبحانه – يعطي المهاجر أشياء تجعل من كان يستضعفه ويستذلّه يشعر بالخزي إلى درجة أن تكون أنفه في الرَّغام".[29] واللفظ فيه" ترغيبٌ في المهاجَرَة وتأنيسٌ لها أي يجدْ فيها متحوَّلاً ومهاجَراً وإنما عبّر عنه بذلك تأكيداً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحوَّلِ بحيث يصل فيه المهاجرُ من الخير والنعمةِ إلى ما يكون سبباً لرغم أنفِ قومِه الذين هاجرهم، والرُّغمُ الذلُّ

(26) السابق، نفسه.

(27) النساء، آية رقم:(١٠٠).

(28) الصحاح.ج5.ص1935، اللسان.ج5.ص260، التاج.ج13.ص296.

(29) الشعراوي.ج1.ص1778.

والهوانُ وأصلُه لصوقُ الأنفِ بالرَّغام وهو التراب، وقيل:يجد فيها طريقاً يراغِمُ بسلوكه قومَه أي يفارقهم على رَغم أنوفِهم"،[30] وأيضاً أصلها "هو من راغم غيره إذا غلبه وقهره، ولعل أصله أنه أبقاه على الرغام، أي التراب، أي يجد مكانا يرغم فيه من أرغمه، أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه بإكراهه على الكفر، ووصف المراغم بالكثير؛ لأنه أريد به جنس الأمكنة. والسعة ضد الضيق، وهي حقيقة اتساع الأمكنة، وتطلق على رفاهية العيش، فهي سعة مجازية. فإن كان المراغم هو الذهاب في الأرض فعطف السعة عليه عطف تفسير، وإن كان هو مكان الإغاضة فعطف السعة للدلالة على أنه يجده ملائمًا من جهة إرضاء النفس، ومن جهة راحة الإقامة".[31] ونلاحظ كيف عالج الله مخاوف النفس البشرية بضمانات دنيوية؛ لأنها مجبولة على حب الراحة والأمان؛ لذا كانت "مراغماً" متسقة تماماً مع السياق معنىً وشعوراً، ولا يغني غيرها مكانها؛ لأن فيها السعة والتمكين مع إغاظة وإرغام أنف من أذله وأهانه.

5- **مُذَبْذَبِينَ**: ورد في قوله تعالى: مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا.[32]

والآية في الحديث عن وصف المنافقين بالتردد والحيرة والاضطراب. وجاءت هذه الكلمة معبرة جداً عن وصف حالتهم النفسية من خلال وقع حروفها، وجرس أصواتها فالمدقق في هذه الكلمة:"(مذبذبين) التي يسميها البلاغيون بـ(الجناس المذيل أو المتوج)،[33] وإلى عبارة (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) تجد أن اللفظ يصور بجرسه موقف الذبذبة، والأرجحة والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات، وهي صورة كريهة-بلا شك-في حس المؤمنين؛ إذ تثير في نفوسهم الاحتقار والاشمئزاز. وتأملُ أسرارِ القرآن أنْ تَقْرأَ عبارة فترسم لك فكرة وهذا أمر معلوم ولكن القرآن تجاوز هذا إلى الكلمة المعبّرة، ألا ترى كيف استخدم القرآن كلمة (مذبذبين)، ليعبّر عن شدة خوفهم واضطرابهم ولو ذهبت تضع مكانها أي كلمة لما أدّت المعنى المطلوب فهي تدل

(30) أبو السعود. ج2.ص146.

(31) التحرير والتنوير. ج1.ص181.

(32) النساء، آية رقم:(١٤٣)

(33) وهو ما يكون الاختلاف فيه بأكثر من حرفين في آخره، من مثل قول أبي تمام:يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب. الهاشمي،(1999م)جواهرالبلاغة.ص327. المكتبة العصرية.

على الاضطراب والتعجّل من جهة المعنى وتفيد الكثرة من خلال تكرار الأحرف"،[34] ولقبح ما جاءوا به وَرِثُوا كره الجانبين فليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء، والسبب هو:"أن الفعل يتوقف على الداعي، فإذا كان الداعي إلى الفعل هو الأغراض المتعلقة بأحوال هذا العالم كثر التذبذب والاضطراب؛ لأن منافع هذا العالم وأسبابه متغيرة سريعة التبدل، وإذا كان الفعل تبعا للداعي، والداعي تبعا للمقصود ثم إن المقصود سريع التبدل والتغير لزم وقوع التغير في الميل والرغبة، وربما تعارضت الدواعي والصوارف فيبقى الإنسان في الحيرة والتردد. أما من كان مطلوبه في فعله إنشاء الخيرات الباقية، واكتساب السعادات الروحانية، وعلم أن تلك المطالب أمور باقية بريئة عن التغير والتبدل لا جرم كان هذا الإنسان ثابتا راسخا".[35] وعليه فإن "موقف الذبذبة، والأرجحة، والاهتزاز، وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين:الصف المؤمن أو الصف الكافر موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز كذلك في نفوس المؤمنين. كما أنه يوحي بضعف المنافقين الذاتي. هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك ولا على المصارحة برأي وعقيدة وموقف مع هؤلاء أو هؤلاء، ويعقب على هذه الصور الزرية، وهذه المواقف المهزوزة، بأنهم قد حقت عليهم كلمة الله واستحقوا ألا يعينهم في الهداية.."،[36] وبالتالي جاءت هذه الكلمة متسقةً مقامًا ومكاناً. ولا يغني غيرها مكانها.

الخلاصة

1- إن التجديد مطلب ملح جدا لكن بضوابط محددة حتى لا يخرج عن الإطار المرسوم
2- من الضروري النهوض بمجموعات علمية تتشكل لإعادة تقويم معوجه من التراث وتنقيته من شوائب البحث العالقة به.
3- من الضروري أن يختار مدرس التفسير بعناية حتى يؤدي الدور المطلوب منه على أكمل وجه.

(34) السامرائي، فاضل. لمسات بيانية.ص51.الإمارات. الشارقة.
(35) الرازي. مفاتيح الغيب. ج11.ص249.
(36) قطب،سيد. ج2.ص784.

4- من الضروري التشمير عن ساعد الجد لتنقية كتب التفسير من الأحاديث الموضوعة ومن الإسرائيليات التي ملئت بها صفحات بعض الكتب.

5- لابد من إعادة النظر في الخطط الدراسية الموضوعة في مواد التفسير في الجامعات والمعاهد حتى تكون جادة ومفيدة.

6- تأليف كتاب جامع في الإعجاز؛ إذ لا يوجد حتى الآن- حسب علمي- كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة؛ لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.

7- التوسع في بيان الإعجاز البياني، والكشف عن أسراره؛ إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها، ولهذا لم يعد واضحاً لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته.

8- الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية:(قراءةً ودراسةً وتعلماً)، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانات المتاحة لهم.

9- مراجعة مقررات المواد القرآنية وتوصيف مفرداتها والكتب الرئيسة المنهجية والمساعدة في المؤسسات التعليمية والتعليم العالي في الجامعات، بما يتناسب مع علوم القرآن لإعداد الجيل القرآني الواعد.

10- تقديم أو تطوير مشاريع قرآنية كبيرة، والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والجمعيات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية، وكذلك اشتراك أكثر من تخصص معرفي وعلمي في إنجاز بحوث قرآنية جديدة.

11- ضرورة التعرف على مناهج العلماء القدامى والمحدثين في البحث القرآني، والإفادة منها في الدراسات المقارنة، وطرائق البحث في المؤلفات القرآنية القديمة والحديثة وكيفية التعامل معها.

12- توجيه دعوة إلى البلاد العربية والإسلامية شعوباً وحكومات ومؤسسات إلى مزيد من العناية بالقرآن الكريم وعلومه، وتطوير الجهود السابقة وتحسينها بما يتناسب وعظمة القرآن الكريم.

13- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة في هذا الموضع وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

14- إجراء مزيد من البحوث المركزة في جزئيات الموضوعات القرآنية، والابتعاد عن تكرار الجهود السابقة، وكذلك تخصيص دراسات ومشاريع بحثية للموضوعات القرآنية التي لم تنل العناية البحثية الكافية، وخاصة ما يتعلق منها بالمناهج المعاصرة.

15- معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا الراهنة للأمة الإسلامية بمنظور قرآني منضبط، وتقديم حلول من الهدي القرآني الخالد المعجز، لهداية الناس إلى القرآن الكريم كونه صالحاً ومصلحاً لكل زمان ومكان، وكذلك ترجمة البحوث المتميزة إلى اللغات العالمية الحية للتعريف بآخر الدراسات القرآنية وأهمها، لتكون منافذ دعوية للآخرين.

16- العناية بعلوم القرآن وآلاته المساعدة في فهم هذا الكتاب العظيم، من علوم اللغة العربية، والفقه وأصوله، والحديث وعلومه وغيرها، من أجل التمكن في البحث القرآني.

17- العناية بلغة القرآن الكريم ونحوه وأسلوبه وقراءاته ومعانية وأحكامه وحكمه ومقاصده بما يعين على فهم القرآن الكريم وتدبره.

المراجع

ابن عاشور، محمد بن الطاهر. *التحرير والتنوير*. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2000م.

ابن فارس. *مقاييس اللغة*، ت/عبدالسلام هارون. دار الجيل، 1991م.

ابن منظور، محمد جمال الدين. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو حسان، جمال محمود. *الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية*. رسالة دكتوراه، غير منشورة.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. *مجاز القرآن*، ت/ محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1981م.

الآلوسي، محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، .(د.ت).

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. بيروت: دار القلم، 1981م.

البيومي، محمد رجب. *التفسير القرآني*. القاهرة: هدية مجلة الأزهر، 1425هـ.

خليفة، حاجي. *كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون*. بيروت: دار الفكر، 1983م.

الخولي، أمين. *مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير*. القاهرة.(د.ت).

الرازي، محمد بن أبي بكر. *مختار الصحاح*. مصر: الأميرية، 1910م.

الرازي، محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار الغد العربي، 1993م.

رضا، محمد رشيد. *تفسير المنار*. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1990م.

الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق. *تاج العروس من جواهر القاموس*، ت/ علي شيري. بيروت: دار الفكر، 1994م.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. القاهرة: عيسى البابي الحلبي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، صححه/عبد الرازق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث، 2003م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ت/عبد الرحمن بن معلا اللويح. مؤسسة الرسالة, 2000م.

العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي*. دار أخبار اليوم، د.ت.

الشيباني، أحمد بن حنبل. *المسند*. بيروت: دار الفكر، (د.ت).

الطبري، محمد بن جرير. *تفسير الطبري*. القاهرة: دار الريان للتراث، 1987م.

الطيار، د مساعد. *مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير*. السعودية: دار المحدث، 1425هـ.

عباس، د فضل حسن. *اتجاهات التفسير في مصر وسوريا*. رسالة دكتوراه، غير منشورة.

عبد الحميد، د محسن. *تطور تفسير القرآن*. جامعة بغداد، 1408هـ.

عبد الرحمن. *عائشةالتفسير البياني للقرآن الكريم*. مصر: دار المعارف، 1966م.

العسقلاني، أحمد بن علي ين حجر. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، 1397هـ.

قطب، سيد. *التصوير الفني في القرآن*. مصر: دار الشروق، 2002م.

مجموعة باحثين. *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*. القاهرة: 2000م.

النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم. *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.